

الأساليب البلاغية الإنشائية في مخاطبة غير الانسان عند المفسرين حتى نهاية القرن السادس الهجري

م . م . حيدر كريم هادي
كلية التربية - جامعة القادسية
الديوانية - العراق

أ . د . سرحان جفات سلمان
كلية التربية - جامعة القادسية
الديوانية - العراق

الخلاصة

شغل خطاب غير الانسان مساحة واسعة في النص القرآني ، فتعددت السور التي ورد فيها ، وتنوّعت المواضيع ، والمحاو ، والموضوعات ، ومن هنا حاول هذا البحث التعرف على البلاغة القرآنية في هذا الخطاب ممثلةً بـ " الأساليب الإنشائية " ، وكانت طبيعة المنهج الوقوف على تلك الأساليب من خلال قراءة المفسر القديم لها ، بغية التعرف على طبيعة تلك الأساليب كنسب ورودها وما تتميز به ونحو ذلك ، وعلى العلاقة بين المفسر وبين تلك الأساليب ورصد التفاضل بين المفسرين عبر القرون في هذا الشأن ، ومن ثم التعرف على أثر تلك الأساليب في عملية التفسير ، وفي تلقي المفسرين للنص القرآني الكريم .

Methods of Linguistic Rhetoric in a Non-Human Speech in the Holy Quran by Scholars of the Koran until the End of the Sixth Century AH

ABSTRACT

Filled rhetoric of non-human wide space in the text of the Qur'an Many of the verses of the Qur'an which came in this discourse, was so diverse the placements and themes ,On this basis, this research attempts to identify the eloquence of the Qur'an in this speech That show in which asks the ordering as well as the show in the style of desire This study attempts to find out these methods in the books of the scholars of the Qur'an of the Ancients And preferences among scientists in this regard.

أولاً : أسلوب الاستفهام

قد يخرج أسلوب الاستفهام عن معناه ((وهو طلب الفهم أي طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً)) (1) إلى أغراض أخرى تُعرَف من خلال سياق الكلام والمقام (2) ((وهي كثيرة وقد يتداخل بعضها ببعض)) (3) الأمر الذي ظهر على أسلوب الاستفهام في مخاطبة غير الإنسان في بعض المواضع ويمكن استعراضها على النحو الآتي :

1- الإنكار :

يُقسَم الاستفهام على ضربين : أن يكون بمعنى النفي ويُسمى استفهام إنكار ، والثاني : أن يكون بمعنى الإثبات ويُسمى استفهام تقرير (4) ، ويجيء الإنكار على وجهين هما : إنكار التوبيخ ، وإنكار التكذيب (5) ففي إنكار التكذيب يكون لسان حال السائل المستفهم بمعنى : لم يكن لي ، أو لا يكون (6) ، ويمكن ملاحظة ذلك في مخاطبة إبليس في قوله تعالى : ((وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (61))) [الإسراء: 61] قال الطوسي ت 460هـ : ((قال (أسجد لمن خلقت طينا) على وجه الإنكار لذلك ، وأن من خلقت من نار أشرف وأعظم ، من الذي خلق من طين ، وادم إذا كان مخلوقا من طين كيف يسجد له من هو مخلوق من نار ، وهو إبليس)) (7) ، وقال الطبرسي ت 538هـ : ((وهو استفهام بمعنى الإنكار ، أي كيف أسجد له وأنا أفضل منه ، وأصلي أشرف من أصله ؟)) (8) وكان أسلوب الاستفهام حين جاء بهذه الطريقة على لسان إبليس لم يكشف عن إنكاره لشأن آدم عليه السلام والسجود له فحسب بل أظهر ما في نفسه من التكبر والاعتزاز بأصل الخلقة والتعصب لذلك والتقليل من شأن الآخرين والحقد عليهم ونحو ذلك الذي دفعه إلى عصيان أمر ربه وإنكار هذا السجود .

وكان الإنكار بالتوبيخ (9) الذي هو ((بمعنى ما كان ينبغي أن يكون)) (10) قد شغل معظم المواضع التي اشتملت على الاستفهام الإنكاري في مخاطبات غير الإنسان ، ويظهر عادة في مواضع الاحتجاج من لدنه تعالى على الكفار من الجن والإنس وفي مقدماتهم إبليس ، أو في احتجاج الملائكة على الكفار عند الموت أو عند القيامة ومن أمثلة ذلك مخاطبة إبليس في قوله تعالى : ((قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (12))) [الأعراف: 12] فذكر الواحد ت 468هـ أن معنى هذا السؤال التوبيخ لإبليس وإظهار عناده لأمر ربه (11) ، ثم فصل الزمخشري ت 538هـ في ذلك فقال : ((فإن قلت : لم سأله عن المانع من السجود ، وقد علم ما منعه ؟ قلت : للتوبيخ ، وإظهار معاندته ، وكفره ، وافتخاره بأصله ، وازدرائه بأصل آدم ، وأنه خالف أمر ربه معتقدا أنه غير واجب عليه)) (12) ، فهذا استفهام إنكار موجهاً لإبليس مصحوباً بالذم والتوبيخ له ، يكشف عن عناده وضلاله وانحرافه عن الحق والإيمان ، فانه تعالى يسأله - وكما أفاد الزمخشري - لا ليعرف السبب والجواب لأنه عالمٌ بذلك ولكن ليكشف عن فساد إبليس فيما ذهب إليه من التكبر والمعصية والكفر ، والطريف أن هذا الأمر يظهر من جواب إبليس نفسه واعترافه (13) .

2- التقرير :

يخرج أسلوب الاستفهام لأداء معنى التقرير الذي يشتمل على : التحقيق والتثبيت (14) ويمكن ملاحظة هذا النوع من الاستفهام في مخاطبة الملائكة في قوله تعالى : ((وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (40) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (41))) [سبأ: 40، 41] فأشار المفسرون إلى أن هذا السؤال على وجه التقرير (15) ، ثم فصل الزمخشري ت 538هـ القول في هذا الشأن فقال : ((ونحوه قوله تعالى : (أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخَذُونِي وَآمِي إِلَهُينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) [المائدة: 116] وقد علم سبحانه كون الملائكة وعيسى منزهين براء مما وجه عليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير ، والغرض أن يقول ويقولوا ، ويسأل ويجيبوا ، فيكون تقريرهم أشد ، وتعبيرهم أبلغ ، وخطبهم أعظم ، وهو أنه ألزم ، ويكون اقتصاص ذلك لظن من سمعه ، وزاجرا لمن اقتص عليه)) (16) ، فهذا الاستفهام موجّه من لدنه تعالى إلى الملائكة لتقرير براءتهم من عبادة هؤلاء لهم فيخسأ هؤلاء الضالون ويخيب ظنهم ، ويعلموا بأن الملائكة منتفزين من أعمالهم ، فيصيبهم اليأس إلى الأبد (17) ، فلم تنف الملائكة تلك العبادة إنما تبرأوا من الدعوة إليها وبذلك تم الكشف عن الوجه الحقيقي لتلك العبادة (18) .

3- التعجب :

قد يخرج أسلوب الاستفهام ليؤدي معنى التعجب ((حين يكون المستفهم عنه مثيرا للعجب والدهشة عند المتكلم)) (19) ويظهر هذا المعنى في أسلوب الاستفهام في مخاطبة غير الإنسان في موضع يكون فيه الاستفهام عن الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله تعالى وفي المواضع التي تكون فيها المعجزة الإلهية كما في مخاطبة امرأة إبراهيم عليهما السلام للملائكة بعد البشارة بإسحاق عليه السلام ، قال تعالى : ((قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (72) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ (73))) [هود: 72، 73] ، فذكر المفسرون أن الاستفهام في قوله تعالى : ((أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ)) هو استفهام تعجب ، يلائم طبع البشرية إذ ورد عليها أمر لم تجر به العادة (20) .

ويظهر في مخاطبة النبي إبراهيم عليه السلام مع الملائكة في قوله تعالى: ((قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (53) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ يُبَشِّرُونَنِي (54) قَالُوا بِشَرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْفَاقِطِينَ (55))) [الحجر: 53 - 55] ، قال الواحدي ت 468هـ: (((فيم تبشرون) استفهام تعجب، كأنه عجب من الولد على كبره)) (21) ، وقال السمعاني ت 489هـ: (((فيم تبشرون) على طريق التعجب، وليس على طريق الشك والإنكار)) (22) ، فكان أسلوب الاستفهام وهو يخرج لأداء معنى التعجب من خلال قراءة المفسرين لهذه المواضع وأمثالها (23) ، أسلوبا مصورا لطبيعة الإنسان (الأنبياء والصالحين) وهو يتلقى المعجزات الإلهية أو مصورا لطبيعة الملائكة أو ردة فعلهم حين يُخبرهم الله تعالى بأمرٍ من أمور الغيب، بما يدعو إلى إنعام النظر في علم الله تعالى وقدرته البالغة التي جعلت الأنبياء وأهل الأنبياء وجعلت الملائكة وعلى ما عليه هؤلاء وأولئك من الإيمان والعلم يتساءلون عن الحكمة الإلهية بأسلوبٍ من التعجب، أو يتساءلون متعجبين عن المعجزة الإلهية بما يدل على أن خلق الله مهما بلغوا فإنهم بحاجة إلى غناه وفضله ومفقرون إلى حكمته وعلمه فجديرٌ بالإنسان أن يتفكر في هذه المواضع وأمثالها وأن يتعجب ويعتبر بما يزيد من إيمانه ومعرفة الله تعالى .

4- النفي :

قد يخرج أسلوب الاستفهام لأداء معنى النفي عندما لا يكون لطلب العلم بشيء كان مجهولا (24) ، ويظهر هذا المعنى في مواضع (25) منها مخاطبة الجن والإنس في قوله تعالى: ((هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (60) فَيَأْتِي آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (61))) [الرحمن: 60، 61] ، قال الطوسي ت 460هـ: ((معناه ليس جزاء من فعل الأعمال الحسنة وأنعم على غيره إلا أن ينعم عليه بالثواب ويحسن إليه)) (26) ، فظهر من خلال معنى النفي الحاصل عن طريق الاستفهام في هذا المثال أن ليس للإنسان المحسن إلا ما سعى وما استحق من الثواب والفضل والإحسان الإلهي ، وقد ساهم أسلوب الاستفهام في تقرير معنى النفي وترسيخه وزيادة أثره في النفس ، لأن في (الاستفهام بمعنى النفي) تحريكا للفكر، وحثا على النظر والتأمل، وهذا هو الفرق بينه وبين النفي الصريح (27) .

5- التهكم :

قد يخرج أسلوب الاستفهام فيدل على التهكم أو السخرية والاستهزاء بمعنى إظهار عدم المبالاة بالمُسْتَهْزَأُ أو المتهمك به (28) ، ويمكن ملاحظة ذلك في مخاطبة النبي إبراهيم عليه السلام لألهة قومه (الأصنام) في قوله تعالى: ((فَرَأَى إِلَى الْهَيْئَةِ فَقَالَ لَا تَأْكُلُونَ (91) مَا لَكُمْ لَا تَنْطَفُونَ (92))) [الصافات: 91، 92] ، فقال الزمخشري ت 538هـ: (((ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون) استهزاء بها وبانحطاطها عن حال عبديتها)) (29) ، فكان الاستدلال على فساد عقيدة هؤلاء أن اتخذوا آلهة مع الله تعالى لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا وقد أظهر أسلوب الاستفهام هذه الآلهة - على زعمهم - على حقيقتها وهي في هذا الضعف الشديد فساهم في الاستدلال على بطلان هذه العقيدة وأضاف لذلك أن هؤلاء المشركين وتلك الآلهة وهذه العقيدة موضع استهزاء وسخرية.

6- النهي :

قد يخرج أسلوب الاستفهام ليؤدي معنى النهي بمعنى طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء (30) ويظهر هذا المعنى في مخاطبة الملائكة لامرأة إبراهيم عليهما السلام بعد أن جاؤوها بالبشرى، قال تعالى: ((قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ (73))) [هود: 73] ، فقال السمعاني ت 489هـ: ((قوله (قالوا أتعجبين من أمر الله) معناه: لا تعجبي من أمر الله فإن الله إذا أراد شيئا كان)) (31) ، فجاء هذا الأسلوب على لسان الملائكة ليبدل - وكما أفادت قراءة المفسرين - على النهي من التعجب من قدرة الله فهو غير مناسب ولا سيما إذا كان صادرا من الإنسان المؤمن لأنه يجب أن يؤمن بأن قدرة الله تعالى مطلقة، وكان هذا الأسلوب على لسان الملائكة لم يؤدِّ النهي فحسب بل زاد عليه استغراب الملائكة وتعجبهم وتساؤلهم عن استغراب امرأة إبراهيم عليه السلام.

7- التنبيه :

قد يدل أسلوب الاستفهام على التنبيه الذي لا يخلو من الإنكار (32) كما في مخاطبة الله تعالى للملائكة في قوله تعالى: ((قَالَ يَا أَدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (33))) [البقرة: 33] ، قال الطوسي ت 460هـ: ((الألف في قوله: (ألم أقل لكم) ألف تنبيه، كقول القائل: أما ترى اليوم ما أطيبه، لمن يعلم ذلك إلا أنك تريد أن تحضر ذهنه، وأن ليس مثله ما يخفى عليه كقوله: (ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) وحكي عن سيوييه: أما ترى أي برق ها هنا، وهي ألف تنبيه أصلها الاستفهام)) (33) ، وكان حمل الاستفهام في هذا الموضوع على التنبيه مناسباً لحال الملائكة حيث يشعر بما اعترضوا عليه أو ظنوا أو كتموا (34) ونحو ذلك في شأن آدم عليه السلام والاستخلاف لذا كأنهم بحاجة إلى التنبيه على ما صدر منهم فكانت هذه الطريقة المناسبة (35) .

وبعد ما تقدم كان التداخل واضحا في المعاني التي خرج إليها أسلوب الاستفهام في مخاطبة غير الإنسان ولعل هذا الأمر لا يقتصر على هذه المواضع ولا على قراءة المفسرين فحسب إنما ذلك من طبيعة أسلوب الاستفهام حين يخرج

إلى الأغراض البلاغية فكان أسلوب الاستفهام يخرج إلى أكثر من معنى في آن واحد (36) ، فعند النظر بامعان إلى المعاني البلاغية التي يؤديها الاستفهام لا يمكن القول: إن الاستفهام يفيد معنى واحدا كالتعجب مثلا ، فقد ترى إلى جنب التعجب معانٍ أخرى (37) ، ففي أحيانٍ كثيرة يتأرجح المعنى الذي يؤديه الاستفهام وليس من السهل الوصول إلى حقيقته ، وهذا يفسر ما ظهر قبل قليل كون المثال واحد والأسلوب واحد ولكن الأغراض التي يؤديها مختلفة ربما لدى المفسر الواحد .

ثانيا : أسلوب الأمر

يخرج أسلوب الأمر عن معناه الأصلي وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام إلى أغراض بلاغية تفهم من سياق الكلام (38) ، وهذه الأغراض متقاربة ومتداخلة ، لأن الحديث عن معنى أو غرض بلاغي معين خرج إليه الأمر لا يعني أكثر من وضوح هذا المعنى وشهرته ، كما قد نجد اختلافا في تسمية هذا المعنى أو تعيينه (39) وقد خرج أسلوب الأمر في مخاطبة غير الإنسان إلى بعض هذه المعاني والأغراض ويمكن استعراض ذلك على النحو الآتي :

1- التكوين والتسخير :

يخرج أسلوب الأمر للدلالة على التكوين والتسخير (40) وفي مخاطبة غير الإنسان كان التكوين والتسخير (41) أكثر المعاني التي خرج إليها أسلوب الأمر ، كما في قوله تعالى - في مخاطبة المَلَكِ للسيدة مريم عليها السلام - : ((قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (47))) [آل عمران: 47] فبعد أن تساءلت السيدة مريم عليها السلام كيف تلد من دون أن يمسه بشرٌ؟! جاء الجواب الإلهي على لسان المَلَكِ ، مشتقلا على أسلوب الأمر بصيغة فعل الأمر (كن) الذي يدل على فعل أو معنى التكوين الإلهي ، فإله تعالى لا يتعدّر عليه خلق شيءٍ أراد خلقه (42) ، فلا يتقل عليه خلق الخلق وتكوينهم ، ففي ذلك دليل نفاذ أمره ومشيئته ، وحصول مراده من غير مهلة ولا معاناة (43) .

وإذا كان هذا الموضوع يدل على فعل التكوين الإلهي من العدم إلى الوجود حيث يكون المخاطب معدوما فيكون الأمر (كن) فيكون تكوينه بمعنى إيجاده (44) ففي المواضع الأخرى سيظهر أن المخاطب هو موجود فيكون الأمر بتحويل كينونته وتسخيرها من حالة إلى أخرى ويظهر هذا المعنى في مخاطبة الجبال والطيور في قوله تعالى: ((وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَالنَّعْلُ لَهُ الْحَدِيدُ (10))) [سبأ: 10] ، حيث وردت صيغة الأمر في قوله تعالى : (أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ) (45) لتدل على معنى تسخير الجبال والطيور معجزةً للنبي داود عليه السلام وفضلا من الله وقدره بمعنى سبّحي معه إذا سبح ، أو سيربي معه ، أو ارجعي إذا رجّع (46) قال الزمخشري ت538هـ: ((ألا ترى إلى ما فيه من الفخامة التي لا تخفى من الدلالة على عزة الربوبية وكبرياء الإلهية حيث جعلت الجبال منزلة منزلة العقلاء الذين إذا أمرهم أطاعوا وأذعنوا وإذا دعاهم سمعوا وأجابوا إشعارا بأنه ما من حيوان وجماد وناطق وصامت إلا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على إرادته)) (47) .

كذلك يظهر معنى التسخير وبشكل واضح في مخاطبة النحل في قوله تعالى : ((وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (68) ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (69))) [النحل: 68 ، 69] ، حيث وردت صيغة الأمر (اتخذي، كلي، اسلكي) لتدل على معاني التمكين الإلهي والتسهيل والتيسير والتذليل (48) والتسخير والإلهام حيث ألهم الله النحل اتخاذ البيوت في الجبال وفي الشجر وغير ذلك وفي سقوف البيوت، وألهمها أن تأكل من الثمرات وسائر الأشجار التي تحويها (49) ، ولولا هذا التسخير والإلهام ما كانت تأوي إلى ما يبني لها من البيوت (50) فكان ذلك مظهرا من مظاهر القدرة الإلهية دلّ عليه أسلوب الأمر ، فكان إلهام النحل والقذف في قلوبها وتعليمها على وجه هو أعلم به لا سبيل لأحدٍ إلى الوقوف عليه فسخرها الله تعالى فكان لطفها في تدبير أمرها وإصابتها فيما يصلحها وأودعها علما بذلك وفتنة (51) ، وغير ذلك من الأمثلة الأخرى لمعنى التكوين والتسخير الذي يفيد به أسلوب الأمر في مخاطبات غير الإنسان (52) .

2- التعجيز والتحدي :

وهو من المعاني التي يخرج إليها أسلوب الأمر (53) ، والتعجيز ((هو الطلب بما لا يقدر عليه المخاطب)) (54) ، ويظهر في قوله تعالى - في مخاطبة الجن والإنس - : ((يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَعْظَمْتُمْ أَن تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانِي (33))) [الرحمن: 33] حيث دلت صيغة الأمر (فانفذوا) ((على الإعجاز أي لا تستطيعون أن تخرجوا أو تنفذوا من أقطار السموات والأرض، ولو مكن لكم من النفاذ والخروج منها لوجدتم ثم سلطاني وحججي وملكي هنالك قائما، أي لا تقدرون على الخروج من سلطاني وملكي حيثما كنتم)) (55) فجاء الخطاب في صورة الأمر والمراد به التحدي (56) أو التعجيز (57) .

3- التهديد :

وهو من المعاني التي يخرج إليها أسلوب الأمر (58) ، ويمكن ملاحظته في قوله تعالى - في مخاطبة إبليس - : ((قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُ مَوْفُورًا (63) وَاسْتَغْفِرُ مَنْ اسْتَنْطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَبْلِكَ وَرَجَلَكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعْذُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (64) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا (65))) [الإسراء: 63 - 65] حيث وردت أفعال الأمر (اذهب ، استغفر ، اطلب ، شارك ، عد) فشغل أسلوب الأمر حيزا كبيرا في هذا الموضوع وقد دل هذا الأسلوب - على وفق قراءة المفسرين - على معنى التهديد ، قال الطوسي ت460هـ : ((قوله: (واستغفر ... واجلب) صورته صورة الأمر والمراد به التهديد، ... كما يقال للإنسان: اجهد جهدك، فسترى ما ينزل بك، وإنما جاء التهديد بصيغة الأمر لأنه بمنزلة من أمر باهانة نفسه، لأن هذا الذي يعمل هوان له وهو مأمور به)) (59) ، وقال ابن عطية الأندلسي ت546هـ: (((اذهب) وما بعده من الأوامر هو صيغة افعل من التهديد)) (60) .

4- التمني والرغبة :

قد يخرج أسلوب الأمر ليدل على التمني (61) ((وهو الطلب الذي لا يُرَجَى وقوعه)) (62) ، ويمكن ملاحظته في قوله تعالى - في مخاطبة أهل النار لمالك خازن النار - : ((وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ (77) لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (78))) [الزخرف: 77، 78] حيث ورد أسلوب الأمر ، فذكر بعض المفسرين أنهم يقولون ذلك على معنى الرغبة التي هي في صيغة الأمر (ليقض علينا ربك) (63) ، أو على معنى التمني ، أو على معنى الاستغاثة (64) .

5- السخرية :

ويؤدي معناها ألفاظ عدة أبرزها التهكم والاستهزاء وتشتمل السخرية على الاحتقار والاستهانة بمن توجه إليه (65) ويخرج أسلوب الأمر فيدل على معنى السخرية وما في معناها (66) ، ويمكن ملاحظة ذلك في قوله تعالى - في مخاطبة خزنة جهنم لأهل النار - : ((وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُحَفِّفْ عَلَيْنَا مِنْ الْعَذَابِ (49) قَالُوا أَوْلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (50))) [غافر: 49، 50] ، فقال ابن عطية الأندلسي ت546هـ: ((فادعوا أنتم إذا وعلى هذا معنى الهزء بهم، فادعوا أيها الكافرون الذين لا معنى لدعائهم)) (67) ، وقال الطبرسي ت548هـ: ((إنما قالوا ذلك استخفافا بهم (68))) (69) .

6- الدعاء :

لما كان الأمر هو طلب فعل الشيء فإن كان ذلك الطلب صادرا من أدنى لأعلى سُمي دعاء (70) ((وهو الطلب على سبيل التضرع)) (71) ، ويمكن ملاحظة ذلك في قوله تعالى - على لسان الملائكة حملة العرش ومن حوله - : ((الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (7) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (8) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (9))) [غافر: 7 - 9] حيث وردت الأفعال (اغفر، قهم، ادخلهم، قهم) التي هي في أصلها صيغ أمر ولكنها تدل في هذا الموضوع على الدعاء لأنها صدرت من أدنى (الملائكة) إلى أعلى (الله تعالى) على سبيل التضرع، وكانت عبارات المفسرين متقاربة حيث عبّروا عن هذا الأسلوب في هذا الموضوع بالطلب أو السؤال بأن الملائكة سألت الله تعالى المغفرة للذين آمنوا والدعاء لهم فهو عندهم طلب بالدعاء والاستغفار (72) ، فيظهر مما تقدم أن أسلوب الأمر قد شغل حيزا واضحا في مخاطبات غير الانسان ، وقد تنوعت - حسب قراءات المفسرين ولاسيما في القرنين الخامس والسادس - الأغراض البلاغية والمعاني التي يؤديها هذا الأسلوب ، ومن ثم كان هذا الأسلوب شأنه شأن الأسلوب السابق (الاستفهام) مكوّنا لغويا وأسلوبيا تتميز به مخاطبات غير الانسان في النص القرآني .

ثالثا : أسلوب النداء والتمني

النداء :

يخرج أسلوب النداء عن معناه وهو ((التصويت بالنادى ليقبل أو هو طلب إقبال المدعو على الداعي)) (73) فيؤدي أغراضا أخرى تفهم من السياق ومقتضى الحال (74) ويمكن استعراض الأغراض البلاغية التي خرج إليها هذا الأسلوب في مخاطبة غير الانسان - بحسب قراءة المفسرين - وعلى النحو الآتي :

1- الاختصاص والتنبيه :

قد يدل أسلوب النداء على معنى الاختصاص بمعنى جعل المنادى مخصصا بالنداء من دون سواه (75) ويظهر ذلك في نداء الأرض والسماء في قوله تعالى: ((وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَفْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَالسَّمَاءُ بِمَا يُنَادِي بِهِ الْحَيَاةَ الْمَمِيَّةَ (44))) [هود: 44] ، قال الزمخشري ت538هـ: ((نداء الأرض والسماء بما ينادي به الحيوان المميّز على لفظ التخصيص والإقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات ، وهو قوله: (يا أرض)، و (يا سماء))) (76) ، فجاء النداء مشتتلا على تخصيص هذين المخلوقين من بين سائر

المخلوقات ، وكان دالاً على كمال العزة والافتقار ، وأن هذه الأجرام العظيمة منقادة لتكوينه غير ممتنعة ، كأنها عقلاء مميّزون قد عرفوا جلالته وعظمته (77) ، فكان هذا الأسلوب في الآية الكريمة يدل على اختصاص الأرض والسماء من بين ما خلق بهذه المهمة الإلهية التي تكشف عن نصر الله لأنبيائه ولأهل الإيمان به وإكرامه لهم وظهور معجزاته فيهم وبيان سننه في عبادته فكان ذلك تشريفاً لهما وإيداناً فيمنزلتهما وانقيادهما وتصاغرهما وعلى ما هما عليه من العظمة أمام عظمة الله وسلطانه ونفاذ أمره..

ويظهر هذا المعنى في نداء الجن والإنس في قوله تعالى: ((سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّفَّلَانِ (31))) [الرحمن: 31] ، قال الفخر الرازي ت 606 هـ : ((الحكمة في نداء المبهم والإتيان بالوصف بعده هي أن المنادي يريد صون كلامه عن الضياع ، فيقول أولاً يا أي نداء لمبهم ليقبل عليه كل من يسمع وينتبه لكلامه من يقصده ، ثم عند إقبال السامعين يخصص المقصود فيقول الرجل)) (78) ، فهذا القول وإن كان يشير إلى حقيقة النداء أو إلى حكم من أحكامه (79) إلا أنه يشعر بطبيعة أسلوب النداء وهو يؤدي غرض الاختصاص فضلاً عن غرض التنبيه الذي يُعد كذلك من الأغراض التي يؤديها هذا الأسلوب (80) وكان جملة النداء تعطي على وفق هذه القراءة معنى: انتبهوا يا معشر الجن والإنس فإن الله تعالى قد اختاركم لهذا الخطاب وخصّكم بهذا الوعيد .

2- الاستغاثة :

قد يخرج أسلوب النداء ليدل على معنى الاستغاثة (81) ويظهر ذلك في مخاطبة أهل النار لمالك خازن النار قال تعالى: ((وَنَادُوا يَا مَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَأْكُونُونَ (77))) [الزخرف: 77] ، فقال الفخر الرازي ت 606 هـ : ((... اختلفوا في أن قولهم (يا مالك ليقض علينا ربك) على أي وجه طلبوا فقال بعضهم على التمني ، وقال آخرون على وجه الاستغاثة ، وإلا فهم عالمون بأنه لا خلاص لهم عن ذلك العقاب)) (82) ، فجاء هذا النداء من لدن أهل النار محتملاً لمعاني (التمني ، والاستغاثة) ليظهرهم وهم يستغيثون رجاء الخلاص من عذاب النار ، والطرير في هذا النداء ما يظهر من خلال قول الزمخشري ت 538 هـ : ((قيل لابن عباس: إن ابن مسعود قرأ (ونادوا يا مال) فقال: ما أشغل أهل النار عن الترخيم (83) ، وعن بعضهم: حسن الترخيم أنهم يتقطعون بعض الاسم لضعفهم وعظم ما هم فيه)) (84) ، فترخيم المنادي على وفق هذه القراءة ، فالترخيم ينسجم مع معنى الاستغاثة ، ويصور حال أهل النار وقد أخذ العذاب منهم مأخذاً عظيماً ، خفيت قواهم وصغر كلامهم (85) ، فتبدو في الآية الكريمة آلام العذاب الشديدة في الآخرة ، فيظهر من خلالها موقف نفوس قد تضاعفت - كما يحكي تعبيرها ونداؤها - لألمها وازداد ضعفها واشتدّت فلقنتها (86) .

كذلك يدل أسلوب النداء في هذا الموضع - حسب ما ذكر الفخر الرازي - على معنى التمني لأن المتمني في هذا الموضع يبغى حصول الأمر المرغوب فيه إلا أن هذا الأمر يدخل في المستحيلات (87) ، فخلاص هؤلاء من النار أمرٌ مستحيل وقد أشار السمرقندي ت 375 هـ من قبل إلى هذا المعنى في هذا الموضع فقال: ((وذلك أنه لما اشتدّ عليهم العذاب يتمنون الموت ويقولون لخازن جهنم يا مالك (ليقض علينا ربك))) (88) وتعضده عبارة الفخر الرازي السابقة (وإلا فهم عالمون بأنه لا خلاص لهم عن ذلك العقاب) فهم عالمون متيقنون بأن خلاصهم من النار والعذاب يدخل في المستحيل لذا خرج نداؤهم لأداء معنى التمني .

3- التعجب :

يخرج أسلوب النداء ليدل على التعجب (89) ويظهر ذلك في مخاطبة امرأة النبي إبراهيم عليهما السلام للملائكة بعد بشارتها بالولد ، قال تعالى: ((قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (72))) [هود: 72] ، قال الطوسي ت 460 هـ : ((ومعنى (يا ويلتى) الإنذار بورود الأمر الفظيع تقول العرب: يا للدواهي)) (90) ، وقال السمعاني ت 489 هـ : ((ومعنى قوله: (يا ويلتى) ها هنا: يا عجباً ، وهذه الكلمة يقولها الإنسان عند رؤية ما يتعجب منه)) (91) ، وقال ابن عطية ت 546 هـ : ((ومعنى (يا ويلتى) في هذا الموضع ، العبارة عما دهم النفس من العجب في ولادة عجوز ، وأصل هذا الدعاء بالويل ونحوه في التقجع لشدة أو مكروه يهيم النفس ، ثم استعمل بعد في عجب يدهم النفس)) (92) ، فكان هذا السياق سياق البشرى وظهور المعجزة الإلهية الدالة على قدرة الله تعالى ونصره لأوليائه التي تبهر الإنسان لأن يرى أمامه تحقق أمر لا يتحقق في العادة فهو خارق لها ! فكان السياق يدعو إلى النظر والتعجب وكانت طريقة التعجب المشتملة على أسلوب النداء أو أسلوب النداء على معنى التعجب مناسبة لهذا السياق كاشفاً عن وجه المعجزة الإلهية من جهة وكاشفاً عن طبيعة المتعجب (المرأة) أو ردة فعله من جهة أخرى وكان هذه الطريقة جاءت مناسبة لأنها تحكي بشكل بالغ ومؤثر ما أصاب امرأة إبراهيم عليهما السلام حين بُسّرت بهذه المعجزة .

هذا مجمل المواضع التي وردت حولها قراءات المفسرين وهي لا تمثل كل ما ورد من أسلوب النداء في مخاطبة غير الإنسان إذ اشتملت المخاطبة وفي مواضع عديدة على أسلوب النداء ، مع تنوع في طبيعة غير الإنسان فقد ظهر هذا الأسلوب في مخاطبة الله تعالى للجبال والطيور (93) ، والنار (94) ، والجن والإنس (95) ، وإبليس (96) ، ومخاطبة إبليس لآدم عليه السلام (97) ، كذلك ظهر في مخاطبة الجن بعضهم لبعض (98) ، وظهر في مخاطبات الملائكة (الرسل) مع الأنبياء وأهل الأنبياء (99) ، وظهر في مخاطبة النملة للنمل ومخاطبة النبي سليمان عليه

السلام للملأ الذين معه من الجن والإنس (100) ، كذلك جاء هذا الأسلوب في مخاطبة غير الإنسان مقترنا مع أساليب أخرى كالأمر (101) ، والاستفهام (102) ، والتوكيد (103) ، والشرط (104) ، فكان هذا شأنه في نصوص المخاطبة كما هو شأنه في القرآن بعامته (105) ، فهو أسلوب لا تأتي أهميته بالنظر إليه بمفرده ، فحين يكون النداء في أمر هام يكون مصحوبا بأساليب أخرى لها تأثير قوي كالأمر والنهي والاستفهام، وغالبا ما يتقدم النداء لضمان اهتمام المخاطب واصغائه والتفاته ، فالنداء مرتبط بخطابات مختلفة تستدعي هذا النداء (106) ولعله على هذا الأساس يمكن القول أن قراءات المفسرين لأسلوب النداء في مخاطبة غير الإنسان لم تكن كاشفة عن شأنه ولم تكن مناسبة لمستوى حضوره في نصوص المخاطبة .

التمني :

وهو ((توقع أمر محبوب في المستقبل، والفرق بينه وبين الترجي، أنه يدخل المستحيلات والترجي لا يكون إلا في الممكنات)) (107) ، وهو على نوعين ((الأول : توقع الأمر المحبوب الذي لا يُرجى حصوله لكونه مستحيلا ... الثاني : توقع الأمر المحبوب الذي لا يُرجى حصوله لكونه ممكنا غير مطموع في نيله)) (108) ، وفي مخاطبة غير الإنسان يظهر هذا الأسلوب في مخاطبة الإنسان لقرينه في قوله تعالى: ((حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمُشْرِفَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ (38) وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُم فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (39))) [الزخرف: 38] (109) ، فجاء أسلوب التمني في قوله تعالى : (يا ليت بيني وبينك) وفيه تمني مباحة القرين، وفي قوله تعالى: (أنكم في العذاب مشتركون) تليل ، أي : لن ينفعمكم تمنيتكم، فحقم أن تشركوا أنتم وقرناؤكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه وهو الكفر (110) ، فكان هذا الموضوع من المواضيع التي تصوّر بوأس الإنسان الضال ويأسه في الآخرة وسوء عاقبته في ذلك اليوم وكان أسلوب التمني مساهما وفاعلا في تصوير حالة هذا الإنسان حيث جاء أسلوب التمني على لسانه في خضم تلك الأهوال ليتني لم أعرفك أيها القرين (111) ! ليت بيني وبينك بُعْدُ لا يمكن وجود بعد آخر أزيد منه (112) فلم أرك ولم يكن لي ما كان بسببك ! ليتني كان لي سبيل إلى الخلاص من صحبتك !

الخاتمة

يظهر من كل ما تقدّم : أن الأساليب الإنشائية شغلت مساحة واسعة في مخاطبات غير الإنسان ، وكان الاستفهام في مقدماتها يليه الأمر ، ثم النداء والتمني ، حيث تنوّعت المعاني البلاغية التي أداها كل من الاستفهام والأمر ، وهي مع هذا التنوّع كانت قابلة للتداخل فيما بينها ، وكما كان حضور هذه الأساليب مختلفا متفاوتا في نصوص المخاطبة ، كذلك كان حضور المعاني البلاغية التي يؤديها كل أسلوب ، ففي الاستفهام كان معنى الإنكار وتحديدا " الإنكار بالتوبيخ " في مقدّمة معاني الاستفهام البلاغية ، ولعل من أسباب سعة حضوره أنه يساهم في كشف الحقائق وتمييز الحق من الباطل عن طريق انتزاع الاعتراف من مرتكبي الباطل وأهل الكفر أنفسهم كبليس والكافرين من الجن والإنس .

وفي أسلوب الأمر كان معنى " التكوين والتسخير " في مقدمة معاني الأمر البلاغية ، ولعل من أسباب سعة حضوره في نصوص المخاطبة أن الأمر في تلك النصوص كان موجّها لغير الإنسان من حيوان وغيره ، في مواضع تدل على القدرات والمعجزات الإلهية ، وتكشف عن طاعة غير الإنسان وسرعة امتثاله لأمر الخالق جل شأنه ، كما أن أمر غير الإنسان بذاته - وكما ظهر في قراءات المفسرين - موضع نظر بين جعله على الحقيقة وبين حمله على غيرها ، وظهر أن المعاني التي تؤديها تلك الأساليب ، أو بمعنى آخر قراءة الأسلوب وهو يخرج فيحتمل معنى أو أكثر كان ذلك مما يساهم في إثراء النص القرآني ، ويساعد على تفسيره ، ومن ثم يظهر أثر هذا الأسلوب في الموضوع الذي ورد فيه .

كذلك يظهر من كل ما تقدم : اهتمام المفسرين بهذه الأساليب البلاغية ولاسيما (الاستفهام والأمر) وهي تحتمل هذه المعاني البلاغية ، ويظهر هذا الاهتمام منذ القرن الرابع ، حيث كان الماتريدي ت333هـ ، والطبري ت310هـ من أبرز المفسرين في ذلك القرن ولاسيما في قراءة أسلوب الأمر ، وكان الطوسي ت460هـ أبرز مفسري القرن الخامس حيث كانت أقواله حاضرة بكثرة في قراءة هذين الأسلوبين ، ثم الواحدي ت468هـ ، والسمعاني ت489هـ ، وكان الزمخشري ت538هـ أبرز مفسري القرن السادس وقد تميّز في هذا الموضوع كون أقواله تكشف كثيرا عن طبيعة الأسلوب والمعنى الذي يؤديه وأثر ذلك في تفسير الآيات ولاسيما وقفاته في أسلوب الاستفهام .

الهوامش والتعليقات

- (1) الأساليب الإنشائية في النحو العربي: 18.
- (2) ظ: نفسه: 20.
- (3) أساليب بلاغية: 125.
- (4) ظ: نفسه: 126.
- (5) ظ: نفسه: 122، كذلك ظ: في البلاغة العربية: عبد العزيز عتيق: 102، 103.
- (6) ظ: نفسه: نفسها.
- (7) التبيان: 6 / 495، 496.
- (8) مجمع البيان: 6 / 204، كذلك ظ: تفسير الماتريدي: 3 / 172، تفسير الفخر الرازي: 21 / 4.
- (9) قال ابن منظور: ((وبَّخه: لأمه وعذله، ... والتوبيخ: التهديد والتأنيب واللوم، يُقال: وبَّختُ فلانا بسوء فعله توبيخاً)) لسان العرب: 6 / 4751 [وبخ].
- (10) أساليب بلاغية: 122.
- (11) ظ: تفسير الواحدي (الوسيط): 2 / 352، 353.
- (12) الكشاف: 2 / 426، المحرر الوجيز: 2 / 378.
- (13) من الأمثلة الأخرى ينظر: سورة النساء: آية 97.
- (14) ظ: الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم: 203، الأساليب الإنشائية في النحو العربي: 21.
- (15) ظ: تفسير الطبري: 19 / 299، 300، تفسير الماتريدي: 4 / 160، تفسير السمرقندي: 3 / 76، التبيان: 8 / 402، المحرر الوجيز: 4 / 421، مجمع البيان: 8 / 169.
- (16) الكشاف: 5 / 128.
- (17) ظ: تفسير الأمثل: 10 / 573، 574.
- (18) ونظير هذا الموضع الاستفهام الوارد في: سورة البقرة: آية 30، سورة الفرقان: الآيات 17، 18.
- (19) أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم: 18، كذلك ظ: الأساليب الإنشائية في النحو العربي: 20.
- (20) ظ: التبيان: 6 / 33، كذلك ظ: تفسير الماوردي: 2 / 486، تفسير الواحدي (الوسيط): 2 / 582، المحرر الوجيز: 3 / 190، مجمع البيان: 5 / 239، زاد المسير: 4 / 132، تفسير الفخر الرازي: 18 / 29.
- (21) تفسير الواحدي (الوسيط): 3 / 47.
- (22) تفسير السمعي: 3 / 143، كذلك ظ: تفسير الماوردي: 3 / 163، 164، التبيان: 6 / 342، الكشاف: 3 / 409، المحرر الوجيز: 3 / 366، جوامع الجامع: 2 / 304.
- (23) ينظر: سورة البقرة: آية 30، سورة آل عمران: آية 47.
- (24) ظ: في البلاغة العربية: عبد العزيز عتيق: 96.
- (25) ظ: سورة ق: آية 30.
- (26) التبيان: 9 / 482، كذلك ظ: تفسير الثعلبي: 9 / 192، تفسير البغوي: 7 / 455، مجمع البيان: 9 / 266.
- (27) ظ: علم المعاني: بسيوني عبد الفتاح: 2 / 139.
- (28) ظ: في البلاغة العربية: عبد العزيز عتيق: 104.
- (29) الكشاف: 5 / 217، كذلك ظ: تفسير الثعلبي: 8 / 148، تفسير الماوردي: 5 / 57، التبيان: 8 / 512، تفسير البغوي: 7 / 45، المحرر الوجيز: 4 / 479، جوامع الجامع: 3 / 169، مجمع البيان: 8 / 242.
- (30) ظ: في البلاغة العربية: عبد العزيز عتيق: 107.
- (31) تفسير السمعي: 2 / 444، كذلك ظ: تفسير الطبري: 12 / 485، التبيان: 6 / 34، تفسير البغوي: 4 / 189.
- (32) ظ: في البلاغة العربية: عبد العزيز عتيق: 106، كذلك ظ: جواهر البلاغة: 84.
- (33) التبيان: 1 / 218، كذلك ظ: مجمع البيان: 1 / 105، 106.
- (34) قوله تعالى: (ما كنتم تكتمون) قيل فيه: أن الذي كتموه ما أضمره في أنفسهم أن الله تعالى لا يخلق خلقاً إلا كانوا أكرم عليه منه. ظ: تفسير الماوردي: 1 / 101.
- (35) من الأمثلة الأخرى في هذا الشأن ينظر: سورة هود: آية 73.
- (36) ظ: أثر التنغيم في توجيه الأغراض البلاغية لعلم المعاني الاستفهام أنموذجاً (بحث): 42 - 46.
- (37) ظ: علم المعاني: بسيوني عبد الفتاح: 128.

- (38) ظ: أساليب بلاغية: 111، الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم: 16.
- (39) ظ: الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم: 17، كذلك ظ: أساليب الأمر والنهي في القرآن (رسالة ماجستير): 12، 13.
- (40) ظ: أساليب بلاغية: 114، 115.
- (41) التكوين إحداث شيء من لا شيء فهو في حقيقته خلقٌ وتحويل وإبداع أما التسخير فهو تذليل الشيء وتحويله من هيئة إلى أخرى وبذلك يُلحظ وجود القدرة والهيمنة والإرادة والغنى ونحو ذلك في من يُكوّن ويُسخّر ووجود الضعف والخضوع وعدم الإرادة والافتقار ونحو ذلك في من كُوّن وسُخّر. ظ: لسان العرب: 3 / 1963 [سخر]، 3959 / 3960 [كون].
- (42) ظ: تفسير الطبري: 5 / 415.
- (43) ظ: تفسير الماتريدي: 1 / 270، تفسير الثعلبي: 3 / 69، 70، التبيان: 2 / 464، 465، مجمع البيان: 2 / 240.
- (44) ظ: أساليب الأمر والنهي في القرآن وأسرارها البلاغية (رسالة ماجستير): 176.
- (45) قال الماتريدي: ((قوله تعالى: (والطيْر) من نصب الطير جعلها مسخرة له، كأنه قال: سَخَرْنَا له الطيرَ، ومن رفعها جعله على النداء: يا طيرُ أوبي معه، أي سبّحي معه، ثم اختلف في تسبيح الجبال والطيْر، قال بعضهم: تسبيح خلقة لا تسبيح قولٍ ونطقٍ لما جعل في خلقة كل شيء الشهادة له بالوحدانية والألوهية)) تفسير الماتريدي: 4 / 145، كذلك ظ: السمرقندي: 3 / 66، الكشاف: 5 / 110.
- (46) ظ: تفسير الطبري: 19 / 219، تفسير الماوردي: 4 / 436، تفسير السمرقندي: 3 / 66، تفسير الثعلبي: 8 / 71، تفسير البغوي: 6 / 387.
- (47) الكشاف: 5 / 110، 111.
- (48) ظ: تفسير الماتريدي: 3 / 99، وقوله تعالى: (ذللا) قيل: هي صفة للنحل بمعنى أنها ذلول تُقاد وتذهب حيث أراد أصحابها فهم يخرجون بالنحل وينتجعون بها ويذهبون وهي تتبعهم، وهي مطيعة للتسخير وإخراج النحل من بطنها، وقيل: هي صفة للسبل بمعنى أن النحل تسلك طرق ربها مذللة لها قد سهّل عليها سلوكها كيف شاءت وحيث ما توجّهت. ظ: تفسير الطبري: 14 / 287، 288، تفسير الماتريدي: 3 / 99، تفسير السمرقندي: 2 / 241، التبيان: 6 / 403، 404، تفسير الواحدي (الوسيط): 3 / 71، 72، تفسير البغوي: 5 / 29.
- (49) ظ: التبيان: 6 / 403 / 404.
- (50) ظ: تفسير الواحدي (الوسيط): 3 / 71.
- (51) ظ: الكشاف: 3 / 450، 451، مجمع البيان: 6 / 135، تفسير الفخر الرازي: 20 / 74.
- (52) كما في مخاطبة النار في قصة النبي إبراهيم عليه السلام [الأنبياء: 68، 69]، ومخاطبة الأرض والسماء في قصة النبي نوح عليه السلام [هود: 44]، ومخاطبة السماء والأرض في الحديث عن خلق الأرض والسماء [فصلت: 11].
- (53) ظ: أساليب الأمر والنهي في القرآن الكريم (رسالة ماجستير): 227.
- (54) أساليب بلاغية: 113.
- (55) تفسير الماتريدي: 5 / 13، 14.
- (56) ظ: التبيان: 9 / 474.
- (57) ظ: المحرر الوجيز: 5 / 230، مجمع البيان: 9 / 262، 263.
- (58) ظ: الأساليب الإنشائية في النحو العربي: 15، أساليب بلاغية: 113.
- (59) التبيان: 6 / 498، 499، كذلك ظ: تفسير الماتريدي: 3 / 64، تفسير الواحدي (الوسيط): 3 / 116، مجمع البيان: 6 / 204.
- (60) المحرر الوجيز: 3 / 470. ورأى بعض المفسرين أن هذا الأمر وارد على سبيل الخذلان والتبرئة إذ لا يجوز أن يكون الله يأمره بما ذكر إذ يُخرَج الأمر بما ذكر مخرج الأمر بالفحشاء. ظ: تفسير الماتريدي: 3 / 64، الكشاف: 3 / 530-532. ونظير هذا الموضوع لمعنى التهديد في أسلوب الأمر مخاطبة الملانكة للظالمين عند الموت [الأنعام: 93].
- (61) ظ: الأساليب الإنشائية في النحو العربي: 15.
- (62) أساليب بلاغية: 112.
- (63) ظ: تفسير الماوردي: 5 / 239، تفسير البغوي: 7 / 222، المحرر الوجيز: 5 / 64، مجمع البيان: 9 / 74. وهذه الصيغة من صيغ الأمر، وهي صيغة المضارع المقرون بلام الطلب التي تُسمى بلام الأمر.

- (64) ظ: تفسير الفخر الرازي: 228 / 27.
- (65) ظ: أسلوب السخرية في القرآن الكريم: 13، 24.
- (66) ظ: أسلوب الأمر والنهي في القرآن الكريم (رسالة ماجستير): 205، 206.
- (67) المحرر الوجيز: 4 / 563. قال ابن منظور: ((سَخَرَ منه وبه سَخَرَا وسَخَّرَا وسُخِّرَا ... هَزِيءٌ به)) لسان العرب: 3 / 1963 [سخر].
- (68) قال ابن منظور: ((واستخفَّ فلانٌ بحقي إذا استهان به، ... واستخفَّ به: أهانَهُ)) لسان العرب: 2 / 1212] خفف [.
- (69) مجمع البيان: 8 / 338، كذلك ظ: الكشاف: 5 / 353، تفسير الفخر الرازي: 27 / 75.
- (70) ظ: النحو الوافي: 4 / 366.
- (71) أساليب بلاغية: 111.
- (72) ظ: تفسير الماتريدي: 4 / 333، تفسير الطبري: 20 / 285 - 287، التبيان: 9 / 57، 58، الكشاف: 5 / 332، 333، المحرر الوجيز: 4 / 548، مجمع البيان: 8 / 324، تفسير الفخر الرازي: 27 / 35 - 38.
- (73) أساليب بلاغية: 128.
- (74) ظ: نفسه: 129، جواهر البلاغة: 90.
- (75) ظ: نفسه: 130.
- (76) الكشاف: 3 / 202، كذلك ظ: جوامع الجامع: 2 / 170، 171، تفسير الفخر الرازي: 17 / 243.
- (77) ظ: جوامع الجامع: 2 / 170، 171.
- (78) تفسير الفخر الرازي: 29 / 112.
- (79) في أحكام تابع المنادى يكون التابع نعتاً ومنعوتة (المنادى) كلمة (أي) في التذكير و(أية) في التأنيث، (فأى وأية) كلا منهما منادى نكرة مقصودة، و(ها) حرف تنبيه زائد ولا بد من وصف (أي وأية) عند نداءهما، لذا تردد في هذا الباب لفظ (المنادى المبهم) يريدون به (المنادى الذي لا يكفي في إزالة إبهامه النداء ومجرد القصد والإقبال وإنما يحتاج معه إلى شيء آخر يكمل تعريفه) ويقصدون أي وأية واسم الإشارة لشدة احتياج كل منها إلى الصفة بعده. ظ: النحو الوافي: 4 / 45 - 51.
- (80) ظ: أساليب بلاغية: 130.
- (81) ظ: الأساليب الإنشائية في النحو العربي: 18، أساليب بلاغية: 129.
- (82) تفسير الفخر الرازي: 27 / 228، كذلك ظ: زاد المسير: 7 / 330.
- (83) قد يجيء المنادى مرخماً وترخيمه: هو حذف حرف من آخره أو أكثر. ظ: النحو الشافي: 461.
- (84) الكشاف: 5 / 456، 457.
- (85) ظ: مجمع البيان: 9 / 73، 74، تفسير الفخر الرازي: 27 / 228.
- (86) ظ: النداء في اللغة والقرآن: 166.
- (87) ظ: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: 2 / 353.
- (88) تفسير السمرقندي: 3 / 213.
- (89) ظ: أساليب بلاغية: 130، جواهر البلاغة: 90.
- (90) التبيان: 6 / 32.
- (91) تفسير السمعاني: 2 / 443. كذلك ظ: تفسير الطبري: 12 / 484، تفسير الماوردي: 2 / 486، تفسير الواحدي (الوسيط): 2 / 582.
- (92) المحرر الوجيز: 3 / 190، كذلك ظ: مجمع البيان: 5 / 236، زاد المسير: 4 / 132، تفسير الفخر الرازي: 18 / 28.
- (93) سبأ: 10.
- (94) الأنبياء: 69.
- (95) الأنعام: 128-130، الرحمن: 30.
- (96) الحجر: 32، 33، ص: 75.
- (97) طه: 120.
- (98) الأحقاف: 30، 31.

- (99) آل عمران: 42-46، هود: 73، 76، 81، الحجر: 57، الذاريات: 31.
 (100) النمل: 18، 38.
 (101) آل عمران: 43، هود: 44، الأنبياء: 69، النمل: 18، سبأ: 10، الزخرف: 77، الأحقاف: 31.
 (102) الأنعام: 130، هود: 73، الحجر: 32، النمل: 38، طه: 120، ص: 75، الذاريات: 31.
 (103) آل عمران: 42، 45، الأنعام: 128، هود: 81، الأحقاف: 30.
 (104) الرحمن: 33.
 (105) ظ: النداء في القرآن الكريم سورة البقرة أنموذجا (أطروحة دكتوراه): 134 - 143، النداء في اللغة والقرآن: 135.
 (106) ظ: الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم: 276، 277.
 (107) أساليب بلاغية: 126.
 (108) نفسه: 127.
 (109) قوله تعالى: (قَالَ يَا لَيْتَ بَنِيَّ وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ) قيل: 1- أنه المشرق والمغرب فغلب أحدهما على الآخر، أي: بُعد ما بين المشرق والمغرب، 2- أنه مشرق الشتاء ومشرق الصيف وذلك أن الشمس تطلع في الشتاء من مشرق وفي الصيف من مشرق غيره وكذلك المغرب تغرب في مغربين مختلفين. ظ: تفسير الطبري: 20 / 595 - 599، تفسير الماوردي: 5 / 225، 226، زاد المسير: 7 / 315 - 317.
 (110) ظ: الكشاف: 5 / 444.
 (111) قيل في (القرن): 1- أنه شيطانٌ يَقِيضُ له في الدنيا يمنعه من الحلال ويبعثه على الحرام، وينهاه عن الطاعة ويأمره بالمعصية، 2- أن الكافر إذا بُعِثَ يوم القيامة من قبره شفع بيده شيطان فلم يفارقه حتى يصير بهما الله إلى النار. ظ: تفسير الصنعاني: 2 / 196، تفسير الهواري: 4 / 114، تفسير الطبري: 20 / 599، تفسير ابن أبي زمنين: 4 / 185، تفسير الماوردي: 5 / 226، مجمع البيان: 9 / 63.
 (112) ظ: مجمع البيان: 9 / 63، تفسير الفخر الرازي: 27 / 214.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الكتب

- 1- الأساليب الإنشائية في النحو العربي ، عبد السلام هارون ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، الطبعة الخامسة : 1421هـ - 2001م.
- 2- الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم ، د . صَبَّاح عبيد دراز ، مطبعة الأمانة - مصر ، الطبعة الأولى : 1406هـ - 1986م .
- 3- أساليب بلاغية الفصاحة - البلاغة - المعاني ، د . أحمد مطلوب ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، الناشر وكالة المطبوعات - الكويت ، الطبعة الأولى: 1980م.
- 4- أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم غرضه - إعرابه ، عبد الكريم محمود يوسف ، طبع في مطبعة الشام ، توزيع مكتبة الغزالي - دمشق ، الطبعة الأولى: 1421هـ - 2000م.
- 5- أسلوب السخرية في القرآن الكريم ، د . عبد الحلیم حفني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - 1978م ، د - ط .
- 6- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزّل ، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، المطبعة: سليمان زاده ، الناشر: مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، إيران - قم ، الطبعة الأولى: 1384هـ - 1426هـ .
- 7- التبيان في تفسير القرآن ، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي 385 - 460هـ ، تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العاملي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، د . ت .
- 8- تفسير البيهقي " معالم التنزيل " ، أبو محمد الحسين بن مسعود البيهقي المتوفى - 516هـ ، حَقَّقَهُ وخرَّج أحاديثه محمد عبد الله النمر ، عثمان جمعة ضميرية ، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الأولى: 1409هـ - 1989م.

- 9- تفسير جوامع الجامع، لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي من أعلام القرن السادس الهجري، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي، قم - إيران، الطبعة الأولى: 1421هـ، الطبعة الثانية: 1423هـ، الطبعة الثالثة: 1424هـ .
- 10- تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي المتوفى سنة 375هـ، تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، د. زكريا عبد المجيد التوتي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى: 1413هـ - 1993م.
- 11- تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (224هـ - 310هـ) تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، جيزة - القاهرة، الطبعة الأولى: 1422هـ - 2001م.
- 12- تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، للإمام محمد الرّازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الرّي، 544هـ - 604هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 1401هـ - 1981م.
- 13- تفسير القرآن للإمام أبي المظفر السمعاني منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي المروزي الشافعي السلفي (426 - 489)، تحقيق أبي تميم ياسر بن إبراهيم، أبي بلال غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن - الرياض، الطبعة الأولى: 1418هـ - 1997م.
- 14- تفسير القرآن للإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني 126 - 211هـ، تحقيق د. مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية - الرياض، الطبعة الأولى: 1410هـ - 1989م.
- 15- تفسير القرآن العزيز لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين (324 - 399هـ)، تحقيق أبي عبد الله حسين بن عكاشة، محمد بن مصطفى الكنز، الناشر الفاروق الحديثة للطباعة والنشر - القاهرة، الطبعة الأولى: 1423هـ - 2002م.
- 16- تفسير القرآن العظيم المسمى تأويلات أهل السنة، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود المأثري السمرقندي الحنفي، تحقيق فاطمة يوسف الخيمي، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى: 1425هـ - 2004م.
- 17- تفسير كتاب الله العزيز للشيخ هود بن محمّد الهوّاري من علماء القرن الثالث الهجري، حققه وعلّق عليه بالحاج بن سعيد شريفي، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى: 1990.
- 18- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، د - ط، د - ت.
- 19- زاد المسير في علم التفسير، الإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي 508 - 597هـ، المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة الثالثة: 1404هـ - 1984م.
- 20- علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، د. بسيوني عبد الفتاح بسيوني، مكتبة وهبة - القاهرة، د - ط، د - ت.
- 21- في البلاغة العربية علم المعاني، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى: 1430هـ - 2009م.
- 22- الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (467 - 538هـ)، تحقيق وتعليق ودراسة الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة الأولى: 1418هـ - 1998م.
- 23- الكشف والبيان المعروف تفسير الثعلبي، للإمام الهمام أبو إسحاق أحمد المعروف بالإمام الثعلبي ت427هـ، دراسة وتحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى: 1422هـ - 2002م.
- 24- لسان العرب، لابن منظور، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، د - ط، د - ت.

- 25- مجمع البيان في تفسير القرآن ، لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المرتضى طباعة، نشر، توزيع، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى: 1427هـ - 2006م.
- 26- المُحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المتوفى سنة 546هـ ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى: 1422هـ - 2001م.
- 27- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د . أحمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، 1403هـ - 1983م، د - ط .
- 28- النحو الشافي ، د . محمود حسين مغالسة ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ، الطبعة الثالثة: 1418هـ - 1997م.
- 29- النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة ، عباس حسن ، مطابع دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة ، د - ت.
- 30- النداء في اللغة والقرآن ، د . أحمد محمد فارس ، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى: 1409هـ - 1989م .
- 31- التُّكْت والعُيُون تفسير الماوردي، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري 364 - 450هـ ، راجعه وعلق عليه السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ملتزم الطبع والنشر والتوزيع دار الكتب العلمية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان، د - ت.
- 32- الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري المتوفى سنة 468هـ ، تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، د . أحمد عبد الغني الجمل ، د . عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى: 1415هـ - 1994م.

الرسائل والأطاريح الجامعية

- 1- أساليب الأمر والنهي في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية بحث مقدم للحصول على درجة الماجستير في البلاغة والنقد ، إعداد الطالب يوسف عبد الله الأنصاري ، إشراف أ . د . صباح عبيد دراز ، المملكة العربية السعودية ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، 1410هـ - 1990م.
- 2- النداء في القرآن الكريم " سورة البقرة نموذجاً " ، رسالة علمية مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وأدائها ، جامعة ابن يوسف بن خدة - الجزائر ، كلية الآداب واللغات ، إعداد: مبارك تريكي ، إشراف د . محمد الحباس ، السنة الجامعية: 2006 / 2007.

المجلات

- 1- أثر التنغيم في توجيه الأغراض البلاغية لعلم المعاني " الاستفهام أنموذجاً " ، د . مزاحم مطر حسين ، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية ، العددان (3 - 4) ، المجلد 6 / 2007 .